# سارتر ... وجائزته

بقلم محمود تيمور

**كان حديث « سارتر » ، خلال الفترة الاخيرة ، يحتل مكان الصدارة فى سائر الارجاء ، حيثما كان فكر وكان اطلاع .**

**لقد انطبق عليه فى يومنا الحاضر ما وصف به « المتنبى » فى عصره الخالى ، حين قيل فيه : ملء الدنيا وشاغل الناس » .**

ولم يكن لهج الصحف والأندية بحديث « سارتر » لأنه منح جائزة « نوبل » أسمى الجوائز الفكرية وأعلاها كما فى العالم كله فحسب ، بل لأنه كذلك رفض هذه الجائزة ، واستعلى عليها مادة ومعنى !

**ولعلنا نحن ، اهل العروبة بخاصة ، واهل الشرق بعامة ، فى تطلعنا الى الحياة الحرة الكريمة ، واستشرافنا للتعايش السلمى العالمى — أجدر أن نجد فى أنفسنا لصاحبنا « سارتر » من العاطفة والهوى مايرفعه درجات . فهو ممن امتشقوا القلم فى سبيل المثل العليا ، ينافح عن القيم التى تستهدف خير الانسانية قاطبة ، ونطالما نادى بالحرية الشخصية ، وهتف بتحرير الفرد والمجتمع من العبودية ، وطالب بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية ، وقام فى مناسبات شتى مقاوم شريفة من قضايا الشعوب الناهضة التى تناضل من أجل كرامتها ومن اجل حقها فى الوجود .**

و« سارتر » فوق ذلك أديب وفيلسوف ، اعتملت فيه نزعة الادب ونزعة الفلسفة معا ، ودار بين النزعتين فى نفسه وعقله صراع . وقد ظهر اثر هذا الصراع فيما كتب من مسرحيات وقصص ، فانك تراه فى أثنائها يحاول فرض فلسفة ، واثبات نتائج ، وان القارىء ليحوس منها فى افكار واتجاهات غامضة ، كأنما يحوس بها فى ضباب ، ولكنه فى بعض قصصه يشرق على قرائه ، ويلطف بهم ، ويفصح لهم ، كما فى قصته « الجدار » التى تعرض حرب التحرير فى « أسبانيا » ، اذ يصور اناسا محكوما عليهم بالموت ، ينتظرون مصيرهم المقدور ، فيصف كلا منهم وصفا رائعا لا يسلس الا لأديب طويل الباع .

ولتبرز العبقرية الأدبية عند « سارتر » تتجلى أوفى ما تتجلى في كتابه الأخير « الكلمات » ، ذلك الذي آثر فيه البساطة والوضوح ، على غير ما عهد منه ، وجرد فيه قلمه ليكتب تاريخ حياته ، فإذا هو كأنما يخلع شخصيته أمامه ، ويأخذ في تحليلها كما يحلل شخصية هو عنها غريب . في هذا الجزء الذي صدر من « كلماته » . يصور نفسه في زمن الطفولة والبفاعة ، فيحدثك بأنه لم يعرف للأبوة طعما ، وأنه لم ير أباه الا رسما معلقا على جدار ، وأنه نشأ في كنف أمه وجده يدللانه ماوسعهما التدليل ، ومع ذلك استطاع أن يبني له شخصية مستقلة ، فتعلم القراءة بنفسه ، وشغف بالمطالعة أيما شغف ، وسمع من بعض الزوار انه سوف يغدو كاتبا . وقد نجح « سارتر » في اخراج صورة دقيقة لمراحل التطور في شخصيته الحصة ، تاركا نفسه على سجيتها في التصوير والتحليل ، فكشف عن عبقرية أديب له مرقم فنان أصيل .

ولا ريب في أن فنه الأدبي الانساني في كتابه « الكلمات » كان في طليعة الاسباب التي أغصت بالحكام « الموابلة » الى تقديمه على منافسيه لجائزة « نوبل » هذا العام ، الى جانب اقرارهم له بأنه طبع العصر بطابعه ، اذ كان لأعماله الغزيرة بالأفكار ، النابضة بروح الحرية ، الباحثة عن جوهر الحقيقة ، أثر عميق في الفكر المعاصر .

على أن « سارتر » وان أثبت قدرته الأدبية الفنية ، كان شأنه بين نزعتي الأدب والفلسفة كشأن من تتقاسمه نزعتان ، هيهات له أن يعدل بينهما وان حرص ، فلا بد أن تتفوق احداهما وتتملك ، وقد خرج « سارتر » على الناس بفلسفة الوجودية ، وكان هو نموذجا حيا لفلسفته ، بها آمن ، وعلى نهجها سلك ، وبتوجيهها استهدى ، واليها دعا ، فاحتشد من حوله ومن حولها شيعة وأتباع .

**وقد شب الجدل في مذهب « الوجودية » كما يشب في كل مذهب فكرى جديد له نصيبه من الأصالة ، وهو الى أن يكون منحى فلسفيا في الحياة ، أقرب منه الى ان يكون مذهبا مستقلا في الادب .**

لباب « الوجودية » — كما قلت حين عرضت في غير هذا المقال « مذاهب الأدب » — هو اشباع رغبات النفس ، والتملص من قيود ذلك المجتمع الذى يحمل بعضه تبعات بعض آخرين ، وبذلك يصبح كل امرىء وهواه ، يصنع بيده دنياه ، حتى يكون عنها مسئولا وحده ، لا ينازعه في مسئوليته أحد .

تحتج الوجودية بأن المرء كان موجودا قبل أن تحدد له وظيفة ، ويناط به عمل ، فوجوده سابق لوظيفته ومهمته ، بل ان وجوده هو الذى يخلق الوظيفة والمهمة ، فلزام أن يكون المرء مسئولا بادىء بدء عن تصرفاته وعن علائقه بمن حوله وبما حوله ، وأن يكيف هو هذه العلائق والتصرفات طوع وجوده هو ، لا طوع رقابة وتوجيه وسلطان .

[illegible]
فى الانطلاق فاياك ان تكون لاحد ارادة عليك ، واذكر انك موجود ، وان لنفسك عليك حقا ، وما ينبغى لك ان تزدرى ما حبتك الطبيعة به من حق الوجود .

**والغاية من دعوة الوجودية هى اعلاء الحرية الفردية الى الاوج ، واطلاقها الى ابعد مدى ، وحصانة النفس من مؤثرات الوراثات والعادات والتقاليد ، وحماية الذات من ان تعترض سبيلها عقبة ، أو يتسرب الى صفاء وجودها كدر .**

**ولعل الخليفة الفاطمى « الحاكم بأمر الله » كان يمثل « الوجودية » فى التاريخ ، فهو ذلك الفرد الذى شاء ان يكون سيدا مطلقا لا تزاحمه فى السيادة سلطة شعب ، ولا يزعه وازع من قيم الدين والاخلاق والاجتماع . وانه لينصت الى صوته وحده ، ويستوحى وجوده وحده ، ويحارب كل ما يحد من سلطانه ، ومايحول بينه وبين الاستمتاع بحريته ، حتى انه ليثور على نفسه حين تنازعه الى المأثور من عواطف الرحمة والاشفاق . وهو يمضى فى تجربته الوجودية المنطلقة ، فيفرض الأوامر الشاذة ، عسى أن يبلغ بها هدفه الذى يتوهمه من نصرة الحق ، واقامة العدل ، ونشر الخير بين الناس .**

خطرت فكرة الوجودية المذهبية أول ما خطرت « لهيدجار » فيما يقول بعض النقاد ، ثم نهض بها « سارتر » و « ألبير كامى » ومن اليهما من الادباء ، وانبسط ظلها على انتاج أدبى لقى حظوة من القراء .

تلك هى « الوجودية » كما عرضتها من قبل ، وبقى الحديث فيما صنع فيلسوفها « سارتر » من رفضه لجائزة « نوبل » .

**فأى شىء أعطى « لسارتر » ؟**

**لقد أعطى التقدير من هيئة عالمية لها وزنها واعتبارها ، وسواء على الناس اقبل ما اعطى له ام رفض ، فليس المعول فى التقدير ان يتلقاه صاحبه بالرضا او باباء ، ولكن مناط الامر ان هذه الهيئة العالمية الرفيعة قد اعترفت « لسارتر » بما له من قيمة ادبية ووزن فكرى ، او توجت الاعتراف بهذه القيمة وذلك الوزن . وان هذا التتويج ليعد مزية للحكام النوابلة ، بانهم احسنوا الاختيار ، وانصفوا فى الحكم ، ولا عليهم بعد ذلك ان يقع حكمهم من المحكوم له او عليه موقع رفض او قبول . وحسبهم من الأمر انهم ارادوا الا يحملوا على ضمائرهم من العبء او من الوزر ما حمله المجمعيون الفرنسيون فى أحد العهود السالفة ، حين فاتهم ان يضموا الى عضوية المجمع علم الادب : « موليير » ، فاقاموا له بعد رحيله عن الدنيا نصبا تذكاريا كتبوا عليه : « لم ينقص مجده شيئا ، ولكن نقص مجدنا » .... فهؤلاء الحكام النوابلة لم يفقدوا شيئا بما صنع « سارتر » ، لانهم لم يقدموا له منصبا ، ولم يلقوا عليه تبعة ، ولكنهم قدموا لاهل الفكر تقديرا لرجل من رجالات الفكر ، وهم بعد ذلك بمنأى عن ملحاة او ملام !**

واى شيء رفض « سارتر » ؟

انه رفض الجائزة ، ولا يعنى هذا الرفض انه قد فاته منها شيء ، الا ماوراءها من الغنم المادى المقرر لها ، وهو عرض زائل وان كثر فى العد والحساب ، أما الغنم الادبى أو المعنوى — وهو الأثر الباقى على الزمن — فقد ناله كاملا ، اذ قدمت له الشهادة ، وتم له اعلان الحكم ، وقضى الامر ، وأصبح هو — على الرغم من رفضه — صاحب جائزة « نوبل » لهذا العام ، دون منافسيه من اقطاب المفكرين والادباء .

ولست ادرى ، أثمة أثر كان يحدثه قبول « سارتر » للجائزة ، فوق الاثر الذى كان لاعطائه اياها ؟ لعله لو قبلها لما أثار القبول اشكالا ، ولما فتح للتساؤل مجالا ، ولعل الرفض هو الذى جعل موضوع الجائزة أبعد صيتا ، وأندى صوتا . ولولا اننا نربأ بالاديب الفيلسوف أن يكون قد أراد ذلك عمدا ، لا نفسح الطريق للقول بأنه شاء التأثير برفض الجائزة فوق التأثير باعطائها ، أو انه شاء أن يكسب بهذا الاباء معنى التفوق على الجائزة وحكامها ومعطيها جميعا ! ...

ولقد تناقلت الصحف عن « سارتر » أن رفضه كان عن اقتناع بأنه لا يقبل مكافآت رسمية تقديرا لأعماله الفكرية ، وكذلك رووا عنه أنه يتجافى عن الجوائز التى يمثل حكامها جهات ومعسكرات وتيارات فى السياسة العالمية ، حتى لا يفسر قبوله بالانحياز يمنة أو يسرة ، وهو يحرص على الاستقلال ، ويؤثر أن يكون أمينا على شخصيته الفكرية أن تتفرق بها الاتجاهات المتصارعة بل المتناحرة فى عصرنا المشهود .

والحق ان لكل سلوك آدمى دوافع باطنة ، غير ما يبدو من الظواهر السافرة ، ومن هذه الدوافع ما يخفى حتى عن صاحبه عينه ، وقد رفض « شو » فيما مضى جائزة « نوبل » بادىء بدء ، ولما سئل فى ذلك ، أجاب : « واين كنت من قبل ؟ » . وكأنما عز عليه أن تتقدمه الى نيل الجائزة من يخالهم دونه ، فهل ترى « سارتر » لا يختلف عن « شو » الا فى أن أحدهما عرف سر نفسه فأفشاه ، وأن الآخر لم يبده جهرة — أو لم يكن ذلك السر ظاهرا عنده ؟ أولئك هم الحكام النوابلة اختاروا « ألبير كامى » قبل « سارتر » ، وأن « سارتر » لزعيم الوجودية ورائدها ، وما « ألبير كامى » الا طليعة الحواريين فيها ، فهل نقم « سارتر » فى وليجة نفسه على أن يسبق الفرع أصله ؟

وأياما كان الامر ، فاننا نرجو للقائمين على جائزة « نوبل » أن يستطيعوا اقرار الثقة بعملهم العظيم ، وان يلتمسوا أسباب العدالة فى أدق مستوياتها ، حتى تتحصن لجائزتهم نبالتها ، تقضى بها محكمة قيم انسانية أصيلة ، فللأدب والفكر ، لا يحمل تقديرها على جنوح الى صراع سياسى أو اقتصادى مرهون بوقته وملابساته ، حتى يكون حكمها مبرءا من كل ظنة ، منزها عن كل شوب ، له من الوزن والاعتبار ما يعلو به على ضباب الخلافات والحزازات ... والشبهات !

محمود تيمور